

السؤال المخصص

بإدارة

الرهينة البائية المخصصة

تصدرة في الشهر

سباط

(فبراير)

العدد السادسة

الجزء الثاني

المطبعة المخصصة - ميما

(لبنان)

١٩٣٩

فهرست

الجزء الثاني

شباط سنة ١٩٣٩

صفحة

٦٥	لا نفس للانسان
٧١	الاب ايزيدور ابوحناب م	لمحة من حياة الذهبي الفهم
٧٥	الاب جبرائيل ابو سعدي	حافظ ابراهيم
٨١	الاخ نقولا سابا م	اعمال مجمع فلورنسا المسكوني
٨٨	من نفثات المطران حجار
٩٠	الاب ايزيدور ابوحناب م	خوف الذهبي الفهم من الخطيئة
٩٣	على ضفاف نهر السبري
٩٩	الاب نقولا ابو هناب م	في سبيل اللغة العربية
١٠٤	الاخ نقولا سابا م	المواد الاولية
١١١	الاب نقولا ابو هناب م	ترادف الالفاظ واختلاف المعاني
١١٣	اسئلة واجوبة
١١٧	اخبار دينية
١١٩	اخبار طائفية
١٢٠	جولة في الشرق الادنى
١٢٧	جولة في العالم
	رسالة فيلبس الى منيكراتس	متفرقات : العموط - ٧٠ شرح المزامير - ٨٠
		وغذاؤه - ٩٢ طعم الظلم - ٩٨

السؤال

مجلة رينسية أوبية تاريخية علمية

شباط
(فبراير)

١٩٣٩

العدد السادس
الجزء الثاني

لا نفس للانسان

معربة عن الفرنسية بتصريف قليل

جواباً على هذا الإنكار أقول :

- اني التفتُ حواليّ ، وارى انه لا شبهة في وجود النفس في الانسان .
- وانظر الى ما هو دوني ، فاتيّن ان للانسان نفساً .
- واتأمل في ذاتي ، فأتحمق ان للانسان نفساً .

اولاً - اني التفتُ حواليّ وارى انه لا شبهة في وجود النفس في الانسان . وماذا يوجد حواليّ ؟ اشباهنا في البشرية بل البشرية باجمعها . والحال ان البشرية ، والبشرية المشهورة ، والبشرية المثقفة ، والبشرية الشريفة ، آمنت وتؤمن بوجود النفس اي بمبدأ روحي متميز عن الجسد . اذن النفس موجودة .

لا ريب ان بين البشر اناساً ادّعوا بانهم لا نفس للانسان ، وقد صنّفوا كتباً لإثبات ذلك ، على ان بوسويت الشهير ، يوضح لنا السر في ذلك ويقول : « ان الانسان يتشبهه بالبهائم ليكون له حق على ان يعيش مثلها ، فهو كإنسان من اسرة نبيذلة ، ولكن بما انه

من رواد الدعارة ، يتناسى شرف أسرته لكيلا يلتزم بالسلوك حسباً يوجب عليه مقام تلك الاسرة . »

ليست بدعة الماديين نتيجة العلم ، ولكن نتيجة الهوى الذي يتوق الى اشباع اللذة . نصح كاهن ذات يوم شاباً ليكون عفيفاً عن المنكر ومسيحياً صادقاً فحنى ذلك المسكين رأسه ثم قال بصوت خافت : « اتقني ان اكون حيواناً » - فهتف به الكاهن : « ماذا تقول ؟ اترغب في ان تكون حيواناً خسيساً ؟ » - اجابه الشاب التمس : « نعم فقلما يكون استطيع ان اعلم الشر بدون نخس الضمير . » وهذه هي الحقيقة المؤسفة . ان الضمير ينخس الانسان ، فيلتمس ان يئتمس ان يئتمس ان يقول الماديون : لا نفس للانسان . لا يريدون ان يعتقدوا شيئاً ليكون لهم حق على ان يعملوا كل شي . - ان بين البشر افراداً فاسدي الاخلاق شذاذاً ينكرون وجود النفس . فهؤلاء الشذاذ السفلة هم اجلاف لانهم افاكون كذوبون خساس . اذن التفت حوالياً الى البشرية السليمة التي لا آفة فيها واقول ان للانسان نفساً .

ثانياً - انظر الى ما هو دوني فأتقن ان للانسان نفساً . ما هو دوني انما هو الحيوان . فهل انا والحيوان من طبيعة واحدة ؟ او هل انا حيوان مكتمل ؟ كلاً .

للحيوان جسم اقمي . ان جسم اكثر القرود كمالاً مركب ليذب ويتسلق ، اما الانسان فمنتصب يقف قائماً ، ينظر الى السماء ، قدماء تطآن التراب ، ولكن رأسه يسبح في الافق ، متأملاً في الملا الاعلى مما يدل على ان للانسان نفساً .

الحيوان يلازم حالة واحدة . يبقى حتماً على ما كان عليه منذ وُجد ، فالنحلة تبني خليتها ، والعصفور عشه ، كما كانا منذ النى عام . اما الانسان فيتقدم . فنحن نعمل ما لم يعمله آباؤنا ، واحفادنا سيعملون ما لا نعمله نحن . فللانسان نفس .

لا سلطة للحيوان . ان اشد الحيوانات بأساً لا سلطة له لا على الانسان ولا على ما هو دونه من الحيوان . اما الانسان فيروض الحيوانات ويؤلفها ويستخدمها لاجل حاجاته وانبساطه . إن راعياً صغيراً اتميا يقود قطيعاً من البقر هي اقوى منه بكثير .

وهذا يدل على ان للانسان نفساً .

لا فكلر للحيوان ، ليس له الا تصورات المخيلة ، وقوى الشعور الحاسة ، ولا يعرف ما هو ، ولا من اين اتى ، ولا الى اين يمضي . قال باسكال : « ليس الانسان الا قصة ولكنه قصة مفكّرة ، يعرف ذاته ، ويعرف الطبيعة وحوادثها وشرائنها ، ويعرف الله مبدعه وغايته » . فللانسان نفس .

لا شريعة ادبية للحيوان . فلا ضمير له ، ليس له الا الغريزة . اما الانسان فهو كائن ادبي ، يعرف الخير والشر ، والحق والواجب . يعرف ويشعر انه مسؤول عن اعماله . فللانسان نفس .

لا حرية للحيوان . يتحرك كرقاص الساعة ، يعمل ما يعمل مضطراً . فالعكسوت لا يمكنها الا ان تحرك نسيجها ، والسنونوة لا يمكنها الا ان تبني عشها . اما الانسان فهو حر في اعماله وسيد عليها . يستطيع ان يختار الماء او النار ، الحياة او الموت ، يستطيع ان يقول اريد او لا اريد ، ان يخضع للشريعة او ان يعصاها . فللانسان نفس . وبين ادنى الناس واكمل الحيوان هوة لا قرار لها . فهناك اختلاف في الطبيعة . اذن انظر الى ما هو دريني ، الى الحيوان فاقول : ان للانسان نفساً .

ثالثاً - اتأمل في ذاتي فاتحقق ان للانسان نفساً . - وماذا أجد في ذاتي ؟ اجد جسداً مركباً من اعضاء لا عدد لها مرتبة بنوع عجيب . وليس هذا فقط . ان في شيئاً آخر غير الجسد .

أ : ان في شيئاً متميزاً عن جسدي . - جسدي مستطيل ، له وجه او سطح منفلور ، وله وزن يُقرر ، وله مساحة تقاس . وان في شيئاً لا ينقسم ، ولا يُيس ، ولا يوزن ، ولا استطاع مقياس من الحديد او من الخشب ان يقبسه ، وهو نفسي .

ان جسدي مركب من اوكسيجين وايدروجين وأزوت . وان في شيئاً غير مركب لا من اوكسيجين ولا من ايدروجين ولا من أزوت ولا من اية مادة كانت . وهو نفسي .

ان جسدي لكي يعيش يحتاج الى الاكل والشرب والنوم ، والى ان ياخذ عن الخلائق الطبيعية الهواء واللحم والحشائش . لكن في شيئاً يقتات بالتفكير والتأمل والبرهان ، وهذه اشياء لامادة لها . وهي نفسي .

ان في الساعة العلبة والحركة ولو كانتا متميزتين كذلك في يتحد الجسد الذي هو الغلاف ، بالنفس التي هي الحياة .

في الكرة البلورية يتحد النور بالبلور ويضيئه بدون ان يصير بلوراً . كذلك في شي . متحد بجسدي بغيره بدون ان يكون جسدي بعينه . وهو نفسي .

٢ . ان في شيئاً اعظم من جسدي . - جسدي وقتي لم يكن امس وان يكون غداً . وان في شيئاً يحطم حواجز الوقت . ويثب الى الماضي والى المستقبل ويعلو الى فكر الابدية العظيم ، وهو نفسي .

جسدي مقيد بالمكان . لا يشغل الا مكاناً محدوداً ولا يبلغ نظره الا الى مسافة معينة . وان في شيئاً ينتقل حالاً الى كل مكان ؛ يسمو فوق اعلى الكواكب وينظر الى ما هو ارفع من ذلك . يعلو حالاً الى فكر اللانهاية العظيم .

جسدي غائص في بجز الاشياء المنظورة والمحدودة . وان في شيئاً يتعالى فوق الحواس وفوق هذا العالم متراقياً الى الكائن الاوحد المطلق الضروري ، الى الله . وهو نفسي .

٣ . ان في شيئاً يسود على جسدي . - ان جسدي يتمرد علي . وقول القديس بولس شهيد في هذا المعنى «اني ارى ناموساً في اعضاءي يحارب ناموس روحي ويأسرني تحت ناموس الخطيئة الذي في اعضاءي» (رومة ٧: ٢٢) ومن لا يذكر قول راسين (Racine) « اشعر بانسانين في . » (Je sens deux hommes en moi) فلما سمع الملك لويس

الرابع عشر هذا الكلام صرخ بكل بلاغة :

« هما انسانان اعرفهما حسناً » (Voilà deux hommes que je connais bien)

جسدي يتمرد علي ، و في شي . يقاومه ويقهره . وهو نفسي .

ان جسدي ضعيف ، لطيف ، واهن ، هرم ، سقيم . وان في شيئاً ينتصر على اوهانه . وهو نفسي . كان باسكال قد اتخذه المرض حين دون حِكْمَتَهُ (Pensées) البليغة . وراسين كتب روايته عتليا (Athalie) بيد ترتجف ضعفاً ووهناً وهي اجل ما نُظِمَ في الفن الروائي الفرنسي . كذلك غيزو (Guizot) حافظ على صفاء ذهنه وحدّته حتى بعد ما تجاوز الثمانين . والاب لاكوردير كانت الحمى قد اضنته حين استكتب صفحات خالدة بالغة حد الاعجاز تروي بابلغ واشهر محاضراته .

جسدي يرغب في الحياة . وان في شيئاً يقتاده الى الموت ليلبغ الى حياة خالدة لا موت فيها . وهو نفسي . ان تورين (Turenne) القائد الفرنسي الشهيد ، خاطب جسده مجدة في ابتداء احدى معاركه وأتبه وشجّع قائلاً : « اترتجف ايها الهيكل العظمي ، فلو كنت عارفاً الى اين اسير بك غداً ، لاصبح الخوف ملء ضلوعك . » والشهداء ؟ أومل تكن نفوسهم حرة متسيطرة على المواقف المخوفة ومنصرة عليها بينما كانت اجسادهم تُسحق بالعذاب سحقاً .

اذن ، ان في شيئاً متميزاً عن جسدي ، واعظم من جسدي ، ويسود على جسدي .
اذن للانسان نفس .

النتيجة . - أولاً . آمن ايها الاخ العزيز بوجود نفسك . اني لم احذرك جزافاً من ضلال الماديين . ان مجلات كثيرة تنشر ذلك الضلال ، وكتبة لا عدد لهم يذيعونه باقلامهم السامة وقد تبلغ العباوة ببعض الشذاذ الى ان يبرهنوا على ان الانسان ليس الا قرداً مكتملاً . فيا ايها البشرية الناعسة انبذي عنك امثال هذه التعاليم السافلة ولا ترضي ان يكون ابناؤك كفرة وماديين . آمنوا ايها البشر اذا شتم ان تعيشوا . آمنوا بان للانسان نفساً .

ثانياً . احترموا نفوسكم . لأنها اثن من اجسادكم . وما جسدتنا ؟ ليس شيئاً مهماً . مهما تفاخرنا بقوتنا وجمالنا ، فلو تتوجنا بجميع مفاخر واجاد هذه الدنيا ، وتنعمننا

بجميع كنوز الارض وغناها كسليمان الحكيم، فنحن مأخوذون من التراب وغداً او بعد غد لا بد ان نسقط ونزول . . . ان نفسنا اثمن من جسدنا، اثن من كل خليقة مادية معها زادت قيمتها ومهما سطع جمالها ومهاؤها . نفسنا تساوي دم الله نفسه . فاحترموا نفوسكم .

ثالثاً . احموا ذمار نفوسكم . احموها من ريح الاباحية العادمة المروءة ومن سم الارتياح القتال . احموا نفوسكم من تهديد وخداع العظام ، من عدوى الرذيلة ومن شكوك الامثال الرديئة . احموا نفوس اولادكم من الاحاد والخلاعة . استحلفكم ان تقامروا الروح الشرير مقاومة عنيفة . وبكل سلطتي الكهنوتية اناشدكم الله ان تخلصوه حرباً عواناً وتحموا نفوسكم ونفوس اولادكم .

رابعاً . خلصوا نفوسكم . قال السيد المسيح : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . » ان هذه الآية الالهية قد اتت بالقدسين . فلتكن اذن قاعدة حياتنا . ان رجلاً حقيراً يحفظ وصايا الله هو احكمهم من عالم كبير لا يحفظها . انه يخلص نفسه . وان امرأة مسكينة تحب الله وتطيعه لاعظم ذكاء . من ملك مقتدر لا يعرف الا ان يأمر ويتلذذ . انها تخلص نفسها . فيا أخي العزيز خالص نفسك . فما سوى ذلك لا قيمة له . السماء والارض تزولان اما نفسك فلا تزول . خالصها لاجل الحياة الابدية .

(١ . ك .)



الغموط

اعلمته الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ملحة

من حياة الذهبي الفهم

وُلِدَ الذهبي الفهم نحو سنة ٣٤٤ ، وانطاكية على مجد ما يكون من عزها . يوم كانت حافلة باندية العلم والادب ، وسوقاً واسعة يقصدها مختلفات الامم ، ولها من عطف القياصرة شبه استقلال اداري في حكومتها من قناصل أعلن يسئون الشرائع وتُعدّ بواقيتهم السنون . فكانت يومئذٍ بحال موقعها ، وجلال قصورها ، ورحابة مسارحها ، ورونق جناتها المتروّية من امواج العاصي ، ومناعة اسوارها العريضة الجيَّارة المحصّنة بثلاث مئة وستين بُرجاً شاهقاً ، وبسالة سكانها البالغين يومئذٍ مئتي الف ، ثالثة العاصمةين (رومة والقسطنطينية) والمدينة المحبوبة ، مليكة الشرق الجميلة .

ففي هذه المدينة الشعريّة الزاهرة ، وتحت سمائها الصافية ، نشأ الذهبي الفهم احسن نشوء . في اسرة حرّة طيّبة العنصر ، لم تكن على شي . عظيم من ثراء الدنيا ، ولكنها كانت عريقة المجد معروفة المفاخر ، لها سابقة السيادة في الجيوش الرومانية . لم يدرك يوحنا اباه لان حماسه ابيه سكوندس وبسالته في ساحات الوغى لم تفسح في اجل حياته . على ان مناقبه العسكرية من حضور جنان ، وشدة شكيمة ، ونفوذ عزيزة ، وعأوهمة ، وحماسة وبسالة ، قد علقت بنفس فتاه الصغير ، وجرت في عروقه دماء صافية . ومن يصغي الى نبرات خطيب الشرق ، يدرك انه شبل أسد مغوار تطربه صلصلة الصوارم . ومن ادار نظراً في سطوره الرشيقه الحماسية ، تمثله قائداً يعرض جيوشه منادياً ، محذراً ، مشجعاً ، وخال بوادره الخطائية حلبات خيول متدفمة ، مُطلقة الاعنة ، وحسب نغماته المتعالية وصيحاته المتتالية آلات موسيقية تعزف وتصف بالنفوس الى ساحات القتال . ولا بدع فاذا لم يكن خطيبنا قائداً يسوق الرجال الى الدمار ، فهو قائد يسوع المسيح الذي يدرب النفوس على الحروب الروحية لدحر ابالسة الجحيم والانتصار على قوات

هذا العالم ، عالم الظلمة والارواح الشريرة .

وقد كان للذهبي الفم بيئة أهلية تلطف من قوة شعوره وحدة مزاجه ، وتقارب بين وثباته الحماسية ، وتصقل احلامه البطولية ، وتلتي في جنبانه معاني اللطف والوداعة ، وسهولة الخلق ورقة العاطفة . وتلك هي أمه أنثوسة ، وعمته اللتان قرنتا رجاحة العقل والفؤاد ، بالايان الحار ، والمحبة النبيلة ، والتتوى الصادقة . ترملت أمه وهي لا تزال في العشرين فأشبثت على ولدها « وثبتت في العاصفة والاضطراب ، لم يروعها اتون الترميل المذيب الحديد » كما تقول هي نفسها . وكانت من قوة العزيمة وإباء النفس ما جعلها آية عجب حتى بين الوثنيين ، فصاح يوماً لبانيوس دهشاً بما سمع من حديث فضلها وتوقاها « يا للآلهة من إباء النساء المسيحيات ! »

وكانت الأم حريصة على ثقافة ابنها ، فوجهته الى طلب الادب على يد لبانيوس الذي كان صيته يلاً الخافقين . فنال حظاً وافراً مما قصر عليه نفسه من الآداب والعلوم ، حتى لقد كان لبانيوس يفاخر بنباهة تلميذه ، ونبوغه في الفصاحة على ما يروي لنا المؤرخ سوزمين . فانه ليقراً على نفر من اصحابه البيانيين خطبة كان انشأها يوحنا في مديح القياصرة ، واذا بالهتافات والتصفيق تتعالى حماسةً وسروراً فصاح لبانيوس « ما اسعد المقرظ الذي اتيح له مدح هؤلاء القياصرة ، بل ما اسعد القياصرة الذين ملكوا في عصر حوى مثل هذا المقرظ الأوحدا ! » ولما شاخ خطيب انطاكية وسأله بعض خلانه من يشاء ان يخلفه في التعليم قال : « لقد وددت ان يخلفني يوحنا لولا ان المسيحيين انتزعوه من ايدينا . »

وكاننا العلوم والتقدم على الاقران ووفرة الثناء ، وحسن الاحدوثة ، قد أثلت هذا الفتى الذي بسنت له الأيام فترجرت تقوى صباه ، وكانت ايامه تتعقضى بين المحاماة في مجالس القضاء وحضور المسارح والملاعب . ولكن الأم كانت ساهرة الفؤاد على ولدها ترشده بنصحها ومشائها الصالح ، وتعديل به عن مزائق الاثم والضلال . ولم يصعب على تلك النفس الطاهرة ان تنثني عن ترهات العالم وآماله البسامة ، فهجر يوحنا محاكم العالم ومنابره

ومسارحه، واقبل على المدرسة الاسقفية يستمع شرح الكتاب المقدس . ونال سر العباد من يد الاسقف ملاتيوس سنة ٣٦٩ وعُيِّن قارئاً لكنيسة انطاكية .

وكان ليوحنا صديق حميم يشاكله بالفضيلة والعلم، ودَّ أن ينتجني معه شطر الحياة النسكية « بيد ان شكوى أمه المتواصلة منعه من النزول عند رغبته » ولكنه تحنَّى في ما جاور من جبال انطاكية هرباً من الاسقفية، واحتمل فاقوع صديقه في الشرك الذي أفلت هو منه، فكان هذا مدعاة الى انشاء محاورته على الكهنوت، ذلك المصنف الحافل بالكلام العالي والتعاليم الرصينة، والذي يقوم برهاناً على عظمة الكهنوت وصدق فراسة الكاتب بواجباته السامية .

ولقد انصبتة تقشقات الوحدة فعاد الى انطاكية عليلًا يستشفى . على ان صيته كان قد انتشر بين المسيحيين والرهبان بمقالاته النسكية؛ فرممه الاسقف شماساً، ثم رقاها فلايبانوس، خليفة ملاتيوس، الى درجة الكهنوت، ووكل اليه ارشاد الشعب لما كان خبر من فصاحته وطول بابه في فهم الكتب المقدسة .

وكان الكاهن الغيور يود ان يقضي حياته بين وطنيه، لما كان يشمله بينهم من الجور . ولقد اخذته مرة هزة الطرب فصاح متحمساً من حسن اقبالهم « اني لسعيد بكم وانتم سعداء بانفسكم ! » على ان بطريركية القسطنطينية كانت تستلزم حضوره ليكون اعظم خطيب في النضرائية في أعلى مرتبة من المملكة . فبعد وفاة راعيها رشحه الملك اركاديوس، بمشورة وزيره اتروب، للبطريركية وارسل قائداً مع سرية من الجنود اختلسوه اختلاساً من انطاكية، فاحتفل برسامته احتفالاً شائقاً حضره جمع كبير من الاساقفة .

ولكن الحسد ما زال دآء الانسانية، ومبعث الشرور بين افرادها . وهو الذي نزل في صدور بعض الاساقفة ورجال الدولة، فعدوا جمماً قضاوا فيه تحت رئاسة ثيوفيلس الاسكندري وأمر الملكة افذوكسية، بنفي البطريرك القديس . ولم يكد

يفصل عن المدينة حتى ثارت العناصر ورتزات المملكة زلزالاً . فارتعدت فرائص
 الملكة وامرت بارجاعه فتلقتهم الجوع الحاشدة والمراكب المتلألئة بالانوار فوق صفحات
 البسفور ، فكان رجوعه انتصاراً باهراً لرعيته ومحبيه . بيد ان اهل الريب ما زالوا
 يتربصون به الدوائر حتى استصدروا امرأ من ار كاديوس بتزيله وابعاده ، فسيق حبر
 الكنيسة القديس ذليلاً الى المنى ، بين جنود لهم قلوب الصخور و اخلاق الوحوش
 الضواري . وما زال اعداؤه يتعقبونه ويسعون في ترحيله من منى الى منى حتى ابلت
 الامراض والهجوم جسده ، فقطعت خيوط حياته على طريق كومانة في الساحل الشرقي من
 البحر الاسود في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧ . وفي ٢٧ كانون الثاني سنة ٤٣٨ نُقل رفاته بأبهة
 عظيمة الى العاصمة على عهد الملك ثيودوسيوس الثاني الذي اتى وسجد امام رفات
 القديس مستغفراً عن مظالم والديه . ولقد عادت كرامة القديس مضاعفة واصبح
 اسطوانة الكنيسة المكيئة وغر الشرق بأجمعه .

اما فصاحة الذهبي الفم فكانت ولا تزال قُدوة الخطباء والوعاظ ، وهي معروفة
 بسلاستها وبساطتها . فقد لا تأتلف حيناً مع آداب عصرنا ، ولكن العبقرية فوق كل
 قاعدة ، فالذهبي الفم هو خطيب العصور « وهو افصح معلّمي الكنيسة » كما شهد
 بصويت . واذا كان الفن هو الطبيعة تُرى من خلال شعور الغنّان ، فخطيبنا هو عبقرية
 رجة ترتسم في صفحاتها آداب و اخلاق و عادات عصر بكامله ، وامة برمتها . وقد
 عرضنا ، ونحن عارضون على القارىء ، بعض هذه التحف ، فني المطامعة ما يعني عن
 الدماع .

الاب ايڤيدور ابو حنا ب م



حافظ ابراهيم

شاعر البؤس والبؤساء

من المبادئ المقررة التي لا تتحمل ادنى ريب ، ان للبيئة والمحيط اعظم تأثير على خلق وخلق الانسان ، وما الانسان الا خليفة يئتمه قد ارسلته خيرة القرون السالفة مثلاً شروداً لا تكاد تخلو منه لغة ، فان الظروف الملائمة والمعايرة تتضافر معاً ، ان ايجاباً وان سلباً لتغرس في المرء صفات وخصالاً ، وتوصل فيه هئاتٍ وخلالاتٍ تقوم بها شخصيته الادبية فتكون له طبيعة وغريزة ينفرد بها عن غيره ولا يشركه بها احد ، وتغذيه عن كل احد . فهي الامزجة تخلق مزايا خاصة يتسم بها الانسان فتكون مصدرراً للميزينه من محاسن ويشينه من معائب وهي الامزجة تسن له من حيث لا يدري قانون القول والعمل وتحول بينه وبين الاقدام تارة والاحجام اخرى حيثما كان الاقدام واجباً والاحجام مفروضاً

ولا يعزب عن بال احد ان الامزجة يستحيل استئصالها كما يستحيل استئصال الطبيعة ، غير انه في وسع كل احد ان يرببها كيفما شاء . فيزيد البعض منها قوة ونشاطاً لتكون محور حياته ، ويوهن البعض الآخر قامعاً ما كان منه عاتياً جوحاً . فللغني اطباع لا تلغى عند الفقير ، وعواطف المثري قلما تجول في جنان المعدم ، وللبائس شهوات ورغائب لا يابه لها ولا يدركها المحظوظ ، والمجدود آمالٌ لا تحطُر في حُلد المنكود ، ولكل من هذه الاهواء كلام كما لكل عاطفة ترجمان ، وهيئات ان يكون من « بكسي كمن تباكي » وهيئات ان يجود الجاهل ، وان تأتق ، بما يأتي به العالم ، وان تهامل . . .

اما الفقير البائس فيكثر من ذكر بؤسه وما يقاسيه من مضمض العيش وحرمان الزمان ، فاذا نوح فنواحه صادق مؤثر لانه صادر عن قاب مكالموم ونفس موجعة ، وتراه

يحنو على من يضاھيه في البؤس والاملاق فتتولد في قلبه عاطفة الصداقة والوداد، صداقة العُلم المشارك، ووداد الذل المزدوج، « إِنَّ المصائب يجتمع المصابينا » كما قال شوقي . فيأنس الفقير الى اخيه الفقير ويناجيه مُسرّاً اليه لواعج القلب الكبير، وهو اجس الفؤاد المعذب، يَشعر بان هذه المشاركة خففت عنه وطأة الاحزان، فيتدرج الى قلبه المقروح شبح السلوان، فيساو هنيهة مُر الحياة، ليتذوق شيئاً مما يقال له طيب العيش ورغد الايام . . .

وهب ان الله خلقه شاعراً او خطيباً فانه يقف مواهبه على تلافي الشرّ دون اخوته الفقراء، وتدارك الذل ان يلهم بامثاله البؤساء، فيحاول ان يستدر كنوز الاغنياء، ويفتح تلك الصناديق المقفلة، ليستقي منها ما يبرد غلة الفقير، ويعول اليتيم والأيّم، ويصون العانس والثيب، ريقهما من التيه في مجاهل العار والاستهتار، لئلاّ تجعلوا العرض سلعة والشرف تجارة . . . فينبري هذا الخطيب او هذا الشاعر فينفث طلباته حارة مؤثرة الى كل ذي ثروة وسلطان ليسترفد الخبز والذهب ايزيل هذا التعس ويعجو ذلك الشقاء . فهذا الفقير الذي عاش بانساً، وكذّ وجدّ حتى انتعل الدماء، ووقف مواهبه العقلية على نفع امته الحزينة والبؤساء اخوانه، هو الشاعر الكبير، شاعر مصر والنيل، حافظ بك ابراهيم .

فقد خلقه الله موفور المواهب النفسية، ولكن قليل المال، خلقه رفيع سام، ونفسه رضية وادعة، وقلبه رقيق حساس، وعقله ذكي حصيف، غير ان الطبيعة ابت الان تجرمه الثراء والغنى . ولد فقيراً وعاش معدماً وتوفي محروماً . فغايبتنا ان نعرض ديوان حافظ لتستجلي من خلال اشعاره ما عانى من عنت الدهر وذلة الفقر وضنك العيش .

ولد حافظ سنة ١٨٧١ في حي ذليل من احياء مصر القاهرة، في اسرة مصرية لاحظ لها من الجاه والغنى، ورزقها موكول به الشغل والكد آناً، والافدار آناً، وكثيرة الاسر التي تعص بها قُرى مصر ورينها من هذه الشاكلة تلك الاسر التي تعودت ان تدأب وتشتى، ليستريح ويسعد غيرها، منذ ما تملك المماليك وتسلطن الاتراك . والتاريخ

شاهد مائل على ذلك العهد البئيس، عهد المظالم إذ كانت الناس تُعرض سلماً ليجتكرها ذور السلطة والجاه، فتأخر بهم القصور، ويتباهون بهم ويستغلونهم كما يستغل المرء ارضه او بهيمه . فلذا قد اعتاد هؤلاء ان يتألموا في صمت ، وان يتجرعوا الاذى في صبر واذعان .

ففي هذا المحيط ظهر حافظ، فوضع الشقاء مع اللبن، واذا ما احدثت المصائب بالمرء تأبى الا ان تُندرى . عليه تباعاً، فرمت الايام حافظاً وهو في مهد الطفولة فكادت ترديه، لو لم يقيض له الله العمر الطويل ، فاخرمت المنية والده ولماً يبلغ العامين من عمره، فعاش في مهد اليتيم لا يجد حانياً عليه غير امه ، ولا كافلاً له غير خاله، فاصبح هالة محروماً ما يحتاج اليه الصبيان في ريت الصبا واول الفتوة ، وقد علفت في نفسه صور قاتمة من هذا الطور البئيس من طفولته ، وقطع مرحلة التعليم الابتدائي في ضيق وشدة ، ثم قضى بضع سنين في طنطا يزجي وقته بين القراءات التافهة، واحتساء المدام في الحانات، واشعال « شيشة » يدفع ثمنها غيره من الاصحاب ، وكان تارة يدفع ملاله بالقريض السخيف متبرماً بهذه العيشة الجافية ، ومتأفقاً عن غير حقد على الاغنياء والمترفين ، ولكن خانعاً لحكم القدر فكان لهذه النشأة اثر قوي في صدق شعوره وتعبيره عن الالام فلا أدري بالداء الا من عاناه :

لم اقف موقفي لانشد شعرا
 انما قمت فيه والنفس نشوى
 دقت طعم الاسى وكابدت عيشاً
 وتقلبت في الشقاء زماناً
 ومشى الهم ثاقباً في فؤادي
 ومشى الحزن ناخراً في عظامي

فهو يسعى ليُزيح عنه قليلاً كلوس هذا الداء الملازم، فتجند وذهب مصاحباً الحملة الى السودان ، غير ان الاقدار تألبت عليه فعاد خائباً اثر اجتماع عقده الضباط الاحداث ولم يرق القيادة العامة البريطانية فارجعوه الى القاهرة ، محطم النفس ، ضيق الصدر

« فاخو الشقاء الى الشقاء موفق » فاسمعه يصف حياته في السودان .

رमित بها ^١ على هذا التباب	وما اوردتها غير السراب
وما حملتها الا شقاء	تقاضيني به يوم الحساب
سعيت ^٢ ولم سعى قبلي اديب	فأب بحجبة بعد اغتراب
وما اعذرت ^٣ حتى كان زعلي	دماً ووسادتي وجه التراب
وحتي صيرتني الشمس ^٤ عبداً	صبيغاً بعدما دبغت اهالي
وحتي قلّم ^٥ الاملاق ^٦ ظفري	وحتي حطّم ^٧ المقدار نالي

اي نعم قد سعى حافظ حتى كاد ينتعل الدماء ، ولكنه ، اخطأه الفلاح ، ولازمه
الفشل ، فغدا يتزشف كاس الالام المرة وهو يبتش شكواه الأليمة من سوء طالعهِ ومن
شؤم الايام :

ماذا أصبت ^٨ من الاسفار والنصب	وطيك العمر بين الوخذ والحجب
زناك تطلب لا هوناً ولا كذباً	ولا نزي لك من مال ولا نشب
كم همت ^٩ في البيد والآرام قائلة	والشمس ترمي اديم الارض باللهب
وكم لبست ^{١٠} الدجى والترب ناعسة	والليل أهدأ من جأشي لدى النوب
والنجم يعجب من امري ويحسبني	لدى السرى ثامناً للبيعة الشهب
لكنني غير مجدود وما فتنت	يد المقادير تقصيني عن الارب
وقد غدوت وآمالي مطرحة	وفي اموري ما للضب في الذئب . .

عاد حافظ من السودان رقيق الحال ، خالي الوفاض ، وكان ضنك الحياة قد اضناه
ونهاك قواه ، وذاتق بأساء العيش وضيقه ، وقضى امداً لا ينال شبعاً لجوعه ، لا يقوته الا
ما يتكرم به عليه بعض الاصدقاء . وقد لقب بحق امام البؤساء ، وغدا شاعرهم النابغة ،
وفي هذه الفترة من حياته نقل الى العربية جزءاً من البؤساء . للشاعر الفذ فكتور هوجو

وتأنتق في ترجمته، وتجريباً الاوضاع الجزلة الناصعة العروبة كما قال عنها الدكتور طه، والتي لم تخلع اصمال البداوة، ولم ترتد حلل الحضارة، كأن الكتاب كتب ايام كانت لغة الصحراء. يصنعها الحدأة والماتحون، ايام كانت العربية لغة الاشدق الواسعة العريضة، والشفاة الضخمة الغليظة، لا الافواه الضيقة الظريفة، ولا الشفاة الناعمة الرقيقة، فقد تعمد حافظ الالفاظ المؤثرة الجرس والمثيرة الشجون لكي تُشعر القارىء بالبؤس الذي املى على الكتاب هذه الاسطر الحزينة، تلقنه حسيماً ما يعانيه البؤسآء، لعل قلبه يشفق ونفسه تحن فتجود بما يفضل عنه، فترمم رجاء قد تردم، وتنعش نفساً قد اذابتها الحسرة واللوعة وترد الى الحياة قلوباً كادت تسهو عن الحفقان. لقد شغف حافظ بكتاب البؤسآء، وان لم يُجد ترجمته، ونقله في كثير من المواضع لانه يمثل طائفة من اسرى العجز، ولولنا من الانسانية المعدبة، تتوجد لهفأً، وتتصدع زفرات وحسرات من ضنك تعالج فيه تباريح الموم، وتتنازعها نواهش الغوم، والله دره يصف حالة الفقير البائس في اشعار خالدة تذوب حزناً وأسى تقصد فؤادك فتدميه :

لله درهم فكهم من بائس	جم الوجيعة سيء الاحوال
ترمي به الدنيا فن جوع الى	عري الى سقم الى اقلال
عين مسهدة وقلب واجف	نفس مروعة وجيب خال
لم يدبر ناظره اعرياناً يرى	ام كاسياً في تللكم الاصمال
فكان ناخل جسمه في ثوبه	خلف الخروق يطل من غربال
يا عين سحبي يا قلوب تقطري	يا نفس رقي يا مروءة والي

هذه صورة لحافظ المسكين البائس، وقد نظرت اليه الدنيا شزراً، ورمته بانواع الصروف والموم، حتى صار كالغريب على هذه الارض ولا صديق يؤاسيه، ولا خل يلتفت اليه في عوزة واحتياجه، فرض ولزم الفراش رداً غير قليل من الزمن، ونخره الداء واضناه الالم، ولم يعده عائد يرضه ولا زائر يلهيه .

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل ابن الفقى الالمعي

اي نعم يعز على حافظ ان يرى نفسه في هذه الهوة العميقة من الذل والشقاء، فتضيق الدنيا في وجهه، فاذا به يندب شوؤم يوم فيه قد ولد :

وددت لو طوحوا بي يوم جثتهم في مسبح الحوت او في مسرح العطب
 هذه هي الفواجع المتكررة، والارزآء المتتابعة التي اصابت حافظاً حرمة اللانزم
 الضروري، كأن القضاء والقدر تحالفا عليه ليتراه يتيه في الدنيا العريضة، ضائق الصدر
 كثيراً، لا يجد له قوتاً ولا بلغة . وفي الجيش المصري محروماً طريداً لا يعثر على مأوى
 فيفتش العراء ويلتحف السماء، فتثور في قلبه الضغينة، ويجيش في نفسه الحقد على حواء
 ام البشر، ويقذفها بالتونيب لانها ولدتها للشقاء، ولم توص الدهر خيراً بنا :

لم تلدنا حواء الا لنشقى ليتهأ عاقل من الاولاد!
 اسلمتنا الى صروف زمان ثم لم توصها بحفظ الوداد

(المقال صلة)



شرح المزامير

اتي احد الشيخ السذج الى كاهن، مهجوماً مرتبكاً وقال : نحن نعلم ان الله
 شهد « اني وجدت داود بن يسي رجلاً على وفق قلبي . . » فكيف حدث انه اتى
 بنفسه في بئر في آخر حياته ؟ - فاجاب الكاهن : ومن اعلمك بذلك ؟ - قال : اما هو
 يقر في مزاميره : « من الاعماق صرخت اليك يا رب . . ؟ » فابتسم الكاهن وقال :
 ان داود يدعو الرب من اعماق قلبه او من اعماق ذله ومسكنته، وليس من اعماق
 الارض او البئر . فهز الشيخ رأسه ارتياحاً وقال : اذن كذلك ا وذهب مجبوراً .

اعمال

مجمع فلورنسا المسكوني السابع عشر

المنعقد سنة ١٤٣٩

وضعه في اليونانية راهب بنديكتي، واستخرجه الى العربية الاخ قولاسابا ب.م.

نوطته وتقدمه

يعز عليّ ان اردّ طلب من اقترح عليّ تعريب هذا الكتاب ولا سيما وقد الخّ عليّ بذلك غير مرة . فلم يسمعي الا ان الي طلبه ، مع ما يعترضني من صعاب ، لما في الكتاب من غريب اللغة وعجمة كثير من الاوضاع نُقلت بلفظ يوناني فقط عن اصلها الايطالي البحث ، مما يجعل محاولة البحث عن معناها في المعاجم محالاً ، بحيث لا يتوصل اليه الاً من له بعض الامام باللغة الايطالية ، وبعد شق النفس .

مع ذلك ، املي كبير ان يكون من وراء اقدامي على هذا العمل الشاق فائدة يجتنيها عموم الشرقيين ، ويرتاحون الى عدوبتها ولذتها ، لانها توقفهم على نقاط طالما كانت موضوع جدل ونقاش ، بين اليونان واللاتين : كحقيقة المطهر ، وسلطة البابا ، والتقديس على الخمير والفطير ، وزيادة لفظة « والابن » في قانون الايمان ، قصداً الى التصريح بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً . وقد أخذت هذه النقطة الاخيرة بالخصوص دوراً مهماً في الجدل والمعارضة .

فحسب ان اتوصل الى هذه الفائدة المنشودة ، واكون قدمت في الوقت ذاته لابناء كنيستنا الشرقية الملكية تراثاً تزي فيه كيف كان ماضيها المجيد الذي لا تزال تفتخر به ، وما صار اليه اليوم .

* * *

وفي ذمة القلم ان يسطر آيات احترامى الجزيل لحضرة الاب المفضل افثيميوس
 ساباب . م . كاتم اسرار غبطة بطرير كنا الكلي الطوبى لانه دفعني الى هذا العدل
 ونشطني له . فاليه اهدي تعريبي هذا اقراراً بفضله علي وتقديراً لاتعابه السابقة .
 ن . س .

سفر الملك^١ الى البندقية

لما كان سفرنا من القسطنطينية الى ايطالية جميلاً جداً ، رأيت ان أصفه باسهاب
 للخلف ليتذكروه بعدنا على غابر الدهر . ولما كان دخولنا البندقية عظيماً خفياً ، أحببت
 ان أقصه عليهم بتدقيق لما فيه حقيقة من الحفاوة البالغة .
 في السابع من شهر شباط أقلعنا من پارنتزوس « Παρέντζος » على ثلاثة
 مراكب دخلت البحر معاً . غير أن المركب الملكي كان أشدها اسراعاً ، فسبق المركبين
 الآخرين فوصل البندقية قبلهما . ومن البندقية قصد الى القديس نقولاس الليدي^٢
 « Lido » فوصل اليه في اليوم الثامن من الشهر نحو الساعة الثانية من النهار ، ووصل
 المركبان الآخران نحو الساعة الرابعة .

(١) الملك المشار اليه هنا ، هو يوحنا باليولوجس الثاني « Jean Paléologue II »
 امبراطور الشرق . فهو اذ رأى نفسه ومملكته مهددة بهجوم الترك عليها ، التجأ الى البابا
 اوجانيوس الرابع مظهراً رغبته في عقد الاتحاد بين اليونان واللاتين بحيث انه بعد اتفاقه مع البابا
 ذهب الى ايطاليا بنفسه ومعه عدد كبير من البطارقة والاساقفة اليونان والاعيان والعظماء . نحو
 ٧٠٠ شخص ، على حسب ما عين لهم اللاتين ان يدفعوا نفقة السفر ل ٧٠٠ فقط . فركب اذن
 الملك البحر قاصداً الى البندقية قبل كل شيء . فوصل اليها في ٨ شباط سنة ١٤٣٨ لا سنة ١٤٣٧
 حسبما يعين المؤلف في آخر الفصل فان هذا غلط لان الملك نزل البحر في ٢٧ ت ٢ سنة ١٤٣٧ .
 (٢) هو دير على اسم القديس نقولاس بقرب الليدو . والليدو مجموع جزائر تكتنف
 مرفأ البندقية ، فسمي باسمه .

حينئذ خرج من البندقية عدد من البواخر عظيم جداً ، فهبطت البحر كلها متقاطرة متراحة لاستقبال الملك الاستقبال اللائق . فكانت على كثرتها كالجمع المائج الذي لا يحصى ، حتى لقد يكاد يقال بان البحر لم يعد يظهر لازدحامها وتجمعها .

حينذاك صدر أمر من الباب العالي أن لا يبرح الملك مركبه الى أن ينبجلي الصبح فيوافيه الذوكس^١ في جميع بطانته فيؤدوا لجلالته الاكرام اللائق به . فكان على ما أشارت به السلطة . غير أنه أقبل الذوكس بعد قليل في موكب من العظاء ، وتقدم وسجد للملك الجالس على عرشه ، ثم سجد له كذلك العظاء وجميع الوفود . بعد ذلك جلس الى يمين الملك اخوه السيد ديمتريوس على عرش أخطأ بقليل من عرش الملك ، وجلس الذوكس على عرش الى شمال الملك . وأخذوا جميعهم يتبادلون بانسراح عبارات التحية والترحيب . حتى اذا انتهوا من هذه الفروض الاولى أقبوا بعضهم على بعض يتباحثون سرأ في أشياء خصوصية الى ان قال الذوكس للملك : إِنَّا كنا عازمين أن نستقبلكم عند الصباح فنؤدي لجلالتكم الرفيعة الاكرام اللائق بها والواجب لها ، ونستقبلكم بكل حفاوة وترحيب ثم تدخاون هكذا الى البندقية . وانطلق الذوكس من عنده مع كل عظائه .

ففي صباح يوم الاحد ، في التاسع من شهر شباط ، الساعة الخامسة ، اتى الذوكس بجلال عظيم مع كباره ومستشاريه وعدد لا يحصى من الاعيان ، راكبين سفينة اختيرت

(١) الذوكس « O Δούξ, του Δουρούς » كلمة مرخسة منقولة عن الكلمة الإيطالية او الفرنسية المتفقين كتابة لا لفظاً : « Doge » . ويراد بها لقب شرف كان يلقب به في الاحبال المتوسطة ، حكام بعض مدن ايطاليا كالبنديقية « Venise » خصوصاً وجنوى « Gènes » . على ان الذوكس ، حاكم البندقية ، كان في الوقت نفسه يحكم بعض البلدان التابعة للبنديقية كدلتية « La Dalmatie » والبانية « L'Albanie » ، وقسم من لومباردية « La Lombardie » والمورة « La Morée » ومكيدونية « La Macédoine » وجزائر الارشپيل « L'Archipel » .

لهم خصيصاً ، كانت قد عُطيت بستائر كثيرة جميلة ، حاملة على مؤخرها تماثيل أسوداً من ذهب واكليل ذهب متسلسلة وكل نوع من التصاوير والرسوم المختلفة الرائعة . وجاء ايضاً معه نحو اثنتي عشرة سفينة منتقاة كلها ، ومتقنة الصنع ، حافلة بالصور والرسوم داخلاً وخارجاً ، شبيهة في كل شيء . بركب الذوكس ، تُقَلُّ . موكباً من العظام والاعيان غفيراً جداً . على جوانبها نصبت اليبارق الذهبية والكتنارات الغير المحصاة وكل نوع من آلات الزمر .

وكان بين تلك السفن سفينة منتخبة معجبة ، ربما كانت تحمل اسم المركب الملكي ، لانه لا يكاد يقع عليها النظر حتى يبدو للرائي ان الفن كله جمع فيها فبرزت روعة الجمال ترهو اشراقاً بين تلك واعجاباً .

أسفل يُجذف البحارة بحماسة وفرح مرتدين ملابس ذهبية ، وحاملين على رؤوسهم لواء القديس مرقس ووراءه اللواء الملكي . ثم كان باقي الركاب متشعبين بملابس أخرى جميلة ثمينة حاملين اعلاماً من الوان مختلفة . وكان ذلك المركب مزداناً من كل جهاته بالاعلام الملصكية وخصوصاً ما رُفع منها على مؤخره مما لم يكن يحصى ، تخفق كلها في الهواء متلاعبه ، متلألئة بالذهب الوهاج الساطع ، وهو قد حمل على ظهره اربعة رجال اتشحوا جميعهم ببزات منقوشة بالرسوم الذهبية ، يتلألأ على رؤوسهم شعر مازج بياضه أشقره الذهبي . بينهم رجل وسيم المنظر يجلس مرة ثم ينتصب أخرى متردياً ثياباً لامعة تتلألأ مشرقة بالذهب ، ضابطاً في يده صرلجاناً كأنه ربان

(١) اشارة الى الاسد الذي يصور الى جانب القديس مرقس .

(٢) قد يتساءل البعض : « ولماذا يحملون لواء القديس مرقس » ؟ - لان البندقيين قد اختاروا القديس مرقس مثل شفيع لهم فبنوا له في المدينة كاتدرائية عظيمة وساحة فسيحة على اسمه يعرفان بساحة وكنيسة القديس مرقس « Eglise — Place St. Marc » على مثال ساحة وكنيسة القديس بطرس في رومة : « Eglise — Place St. Pierre » . والسبب في ان الركاب قد حملوا لواءه وهم ليسوا من البندقية كما هو ظاهر لانهم فقط قاصدون الى البندقية الموضوعه تحت حمايته ورايته .

مركب . على ان باقى العظام ، لما كانوا قادمين من بلاد غربية ، ولا بسين ملابس ذات منظر آخر ، ومختلفة الالوان الكثيرة جداً ، فكانوا يرون انهم مستعدون لاتمام كل اشارة منه ، يأترون بأمره ، وينتهون بنهيه بكل دقة ونظام .

على مؤخر السفينة كذلك شي . قائم كأنه عمود شامخ ، وعلى رأس العمود شبه طاولة مربعة الزوايا اصفر من نحو ست اقدام (فتح الذراعين) ، وفوق الطاولة رجل منتصب ، مدجج بالسلاح من قدميه الى رأسه ، يلعب كالشمس اشراقاً ، مرهفاً في يده سيفاً هائلاً . على يمينه من ههنا وعلى شماله من هناك غلامان في ملابس ملاكية بحجيين لكل واحد جناحان كالملائكة . لكن لا يتصورن احد انها خياليان لا حقيقة لها ، كلا . فانهما رجلان يتحركان مثلنا . كذلك على مؤخر السفينة ايضاً شبه أسدين من ذهب وبينهما نسر من ذهب ذو رأسين ، وتصاوير غيرها لا تحصى ولا يستطيع احد الى وصفها سبيلاً .

اما الرجل فلا يزال دائماً في تيقظ تام يقصد حيناً نحو المركب الملكي يتمشى امامه وحيناً يقف فيجمل يدور حوله ، أو انه يأخذ في وجهة معوجة وهو يرقص ويتغني على صوت المزمار والابواق الكثيرة .

ثم جاءت سفن وبواخر لا يمكن احداً ان يحصيها . فكما انه لا يستطيع احد ان يحصي نجوم السماء ، ولا ورق الاشجار ، ولا رمل البحر ، ولا نقاط المطر ، هكذا لم يكن من سبيل حينئذ لاحصاء تلك السفن المتقاطرة .

غير اني حباً للاختصار اقول ان الذوكس لما وافى ليستقبل الملك في الغد ، تقدم نحو مركبه هو وعظماؤه واهل مشورته فصعدوا اليه ، وسجد الذوكس للملك الجالس على عرشه ، وجلس اخوه عن يمينه كما قلنا ، على عرش أحط من عرش الملك . ثم اجلس الملك الذوكس عن شماله على عرش مقابل عرش اخيه ، وصاحفه الملك وجعلا يتحدثان بانسباط .

على انهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى هبوا جميعاً على اصوات الابواق وكل آلات الموسيقى وذلك المهرجان الفخم ودخلوا البندقية ، المدينة الزاهية العجيبة . انها بالحققة المدينة العجيبة بل العجب كله مصور فيها ، المختلفة المشاهد ، الجميلة ، الخليقة بكل مديح : البندقية الكلية الحكمة . انه ان دعاها احد ارض الميعاد الثانية ، فاهو بخطى ، لاني اظن انه عنها قال النبي في المزمور الثالث والعشرين : « الله على البحار اسبها وعلى الانهار هياها » . فاي شيء يطلبه الانسان فيها ولا يجده ؟ لاجل ذلك هي جديرة بأعظم التفضيم واعطر الثناء واجل الكرامة .

ان هي الا الساعة الخامسة من النهار تقريباً عندما اخذنا بالدخول الى البندقية ، وبقيتنا نحوض البحر حتى غروب الشمس الى ان افضينا الى قصور مركز فراريا .

وحينئذ ارتجت المدينة كلها وابتدرت بسرور الى لقاء الملك . وكان ثم جلبة وتصفيق وهتاف مما لا يجد ولا يتصور . فيا ليتك اوتيت ان تشاهد في ذاك النهار المشهود ذلك الازدحام الهائل وما كان لكنيسة القديس مرقس من الجمال الخلاب ، وقصور الذوكس الانيقة الفخمة ، ومنازل الاشراف الفسيحة الكثيرة ، المتلانة بالذهب الثمين ، الجميلة ، التي يفوق كل واحد منها الثاني جمالاً متزايداً ! قد يصعب على من لم يرها ان يصدق مثل هذا ، ونحن الذين شاهدنا بعيوننا هذه الروائع لا نجد شيئاً الى وصف جمالها وترتيبها وحسن تنظيمها ، وازدحام الرجال والنساء

(١٠) مما هو اشهر من ان يعرف ان البندقية مدينة عظيمة تعد اليوم نحواً من ٣٦٢،٠٠٠ ساكن ، وهي مع ذلك منثورة البيوت في عرض البحر ، طافية على وجهه كأنها مجموع جزائر مؤلفة من نحو ٢٠٠ جزيرة صغيرة ، تقوم المواصلات بالمرآكب ان لم يكن بالجسورة ، لذلك يسبق مياهها نحو ٩٠،٠٠٠ مركب ، وبني فيها ١٤٠ جسراً . وهي لا تزال ترى وتسمع لا تزال ترى وتسمع هدير البحر، وضخ الامواج ، وذلك الجلال العظيم والاتساع الغير المدرك الذي يملك عيننا قوانا ويذهب بنا الى اللاهية . ان ذلك ليمري لاروع وابدع مما يتخيل ، وفي التأثير الذي اندفع اليه المؤلف كفاية لتبيان ذلك !